@ 359 @ برحاء شديدة وكان يحمر وجهه كأنه مذهبة ، وكان إذا نزل عليه صلى ا عليه وسلم وهو في سفره على راحلته بركت به الناقة ، وجاء عن أنس أن النّبي صلى ا عليه وسلم كان واضعاً رأسه على فخذه ، فأتاه الوحي قال أنس : فكان فخذي تكاد تنفصل مني ، ومن جانب تكاليفه فقد ثقلت على السماوات والأرض والجبال وأشفقن منها كما هو معلوم ومن جانب ثوابه فقد جاء في حديث مسلم . (الحمد تملأ الميزان ، وسبحان ا ، والحمد تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض) . .

وحديث البطاقة وكل ذلك يشهد بعضه لبعض ولا ينافيه . .

وقد بين تعالى أن هذا الثقل قد يخففه ا على المؤمنين ، كما في الصلاة في قوله : { وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ } ، وكذلك القرآن ثقيل على الكفار خفيف على المؤمنين محبب إليهم . .

وقد جاء في الآثار أن بعض السلف كان يقوم الليل كله بسورة من سور القرآن تلذذاً وارتياحاً ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ } فهو ثقيل في وزنه ثقيل في تكاليفه ، ولكن يخففه ا ويسره لمن هداه ووفقه إليه . .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً } . أي ما تنشأه من قيام الليل أشد مواطأة للقلب وأقوم قيلاً في التلاوة والتدبر والتأمل ، وبالتالي بالتأثر ، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه من القول ، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة . .

وقد سمعت من الشيخ رحمة ا تعالى علينا وعليه قوله : لا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه وييسر فهمه إلا القيام به من جوف الليل ، وقد كان رحمه ا تعالى لا يترك ورده من الليل صيفاً أو شتاء ، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى : { وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَواةِ } فكان صلى ا عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . .

وهكذا هنا فإن ناشئة الليل كانت عوناً له صلى ا عليه وسلم على ما سيلقى عليه من ثقل القول . .

مسألة .

قيل : إن قيام الليل كان فرضاً عليه صلى ا عليه وسلم قبل أن تفرض الصلوات الخمس لقوله